الطاهر والغذامي ونزار قباني

حسين القاصد

لعل من أكثر النقاد العراقيين اشتغالا في النقد الثقافي هم أولئك النقاد الذين كانت وجهتهم النقدية تهتم بالموضوع قبل البناء الفني، وهم بذلك نقاد موضوعات، وهم قبل ذلك انتهجوا المنهج الاجتماعي، وهم بعد ذلك نقاد ثقافيون على الرغم من غياب المصطلح الذي كان في أصله (نقاد مقاليون)، وهو ما يمثله اشتغال حسين مردان واشتغال الدكتور علي جواد الطاهر وتلامذته ولاسيما محمد حسين الاعرجي الغزير بجودته والجيد بغزارته ؛ وإذا كان الغذامي تطرق إلى تأنيث القصيدة محاربا عمود الشعر بقوله :(يأخذ النسق الحر مجال تكوينه عبر تأنيث القصيدة وتحويل عمود الشعر إلى خطاب مفتوح يجعل النقص مدخلا شعريا وإبداعيا يتنازل عن الكمال والقوة)( ) ، فإن أول من تنبه إلى أن للقصة (عمودا) أيضا هو الدكتور الطاهر( ) .

ولعل إشكالية شعر نزار قباني في سهله . غير الممتنع . أتاحت الفرصة لعبد الله محمد الغذامي لكي ينظر له من باب فحولته على الأنثى متناسيا هيمنة نسق السلطة والمال على مضمر نزار ومعلنه، فعلى الرغم من أن نزارا عاش حياة مترفة نجده، شاعر سلطة من الطراز النادر جدا، وبيّاع مبادئ من الطراز الأندر؛ بدءا من قراءاته في المرابد الصدامية ومرورا بزواجه من بلقيس الراوي بقرار من مجلس قيادة الثورة، وليس انتهاءً بقصائده بعد أن اجتاح صدام الكويت.

كما أن هناك نسقا آخر هو نسق هيمنة سلطة المال الذي جعله يغير كلمات كثيرة في أبياته لكي يتوافق مع ذوق الملحن وهو ما حدث في قصيدته "إلى رجل" ، حيث أبدل كلمة "يدخن" بكلمة "يفكر" ناسفا لحظة بوح القصيدة قاصدا إرضاء الملحن والمطربة، وذلك في بيته:

يا من يدخن في صمت ويتركني
في البحر أرفع مرساتي والقيها

ومثله ما حدث مع كاظم الساهر، حين ترك للساهر حق التغيير في الكلمات بل قام هو بنفسه بالتغيير بطلب من الساهر:

وجعي يمتد كبقعة زيت من بيروت إلى الصين
صارت :
وجعي يمتد كسرب حمام من بغداد إلى الصين!!!

ومما لاشك فيه أن الوجع في البيت الأصلي ابلغ، لكن الوجع في البيت الثاني أكثر نفعا لأنه يعود بالفائدة المالية على الشاعر، ولاشك أن القارئ الكريم سمع بالدعاوى التي أقامها نزار على المطربين بحجة انه قبض مرة واحدة بينما يقبض الشاعر يوميا من مردودات قصيدته التي أصبحت أغنية، ومن أمثلة ذلك الكثير، كان الأولى أن يلتفت إليه الغذامي، لكنه انشغل بإعادة صياغة رسالة الدكتور الطاهر إلى نزار قباني بكلمات أخرى أدت الغرض نفسه، وهو موت نزار شاعرا قبل موته؛ فقد أشار الطاهر إلى ذلك بوضوح حين كتب (رسالة ثانية الى نزار قباني) ، ولعل الحاجة الملحة هنا . تقتضي أن انقل ما قاله الدكتور سعيد عدنان وهو يحلل هذه الرسالة (كان نزار يحين الانتقال يمهد له بجملة يجعلها على لسان الشاعر: " تقول . وأنت تسمع هذا الثناء . ذلك أمر قديم .. حدثت بعده قصائد وقصائد وصدرت دواوين ودواوين" ، ثم ينفذ إلى فكرته : إن نزار قباني شاعر أدرك موهبته نضوب، وران على حرفه شحوب، وان من الخير له، ولنا أن لا يحمل نفسه حملا على قول الشعر ، وألا يتعسف القصيد اعتسافا)( )

ومع هذا كله يعترف الطاهر لنزار بأنه شاعر له ماض وهو ليس كغيره من الذين يصرون على إيذاء الفن ( ).

وبينما نجد الغذامي يعترف بأول تأنيث نقدي حيث رواية أم جندب دون أن يقف عندها وكأنه يتستر على مشروعه التأنيثي الحديث الذي يبدأ بنازك الملائكة، ويكمن اعترافه هذا في قوله ناعتا نزار قباني (هذا هو علقمة الفحل الذي لا يرى أحدا غيره ، ولذا كثر تبرم نزار بناقديه واظهر الامتعاض منهم)( ) ؛ ولا ندري كيف تذكر الغذامي علقمة الفحل ولم يحترم من منحته لقب الفحولة وفضلته شاعرا على زوجها ؛ ولنبق في محور نزار لأننا نجد الغذامي ينسخ رأي الدكتور الطاهر الذي سبقه إليه ، فيطلقه حكما على نزار دون الرجوع الى الدكتور الطاهر مصدرا ، وذلك في قوله : (ومشكلة هذا النوع من الذوات والانساق انها ذات نسقية غير قابلة للتغيير أو التحول . هي إياها لا تتغير. وها هو نزار يكتب في اخر أيام حياته عام ١٩٩٧ مثلما كتب في عام ١٩٤٧ ، وكأن خمسين سنة من عمر الثقافة لم تمر ولم تفعل)( ) ؛ ولذا اترك للقارئ الكريم أن يتفحص السبق بنفسه ويرى كيف أن الدكتور الطاهر أعطى رأيه بتراجع شعرية نزار قبل الغذامي بزمن كفيل بإنجاب أجيال من التفكير النقدي ، ومع هذا كله ، وأمام أعيننا ، يأتي الغذامي ليخبرنا بما اخبرنا واخبره به الطاهر آنذاك ، وكأن الغذامي يريد ان يقول: إنه قباني قد خرج عما له من منحى شعري، وفارق مقدرته على الإبداع، وقد ادرك ذلك الدكتور الناقد علي جواد الطاهر ، لكنه لا يريد ان يكتب نقدا مستقصى يربط فيه النتائج بالأسباب، وإنما يريد ان ينشئ مقالة تقوم على وعي نقدي، مبنية على حسن التأتي، وبراعة اللمح، والنفاذ إلى جوهر القضية، فكتب "رسالة ثانية إلى نزار قباني" بدأ على النحو الآتي :" أخي الشاعر الكبير بموهبة أطلت منذ الديوان الأول ومضت صعدا حتى قصائد الخمسينات" وهو بدء أليف يثبت للشاعر حقه ، ويريه ماله ، وقد جاء بصياغة تقرر الحقائق، لكي تنتقل منها إلى غيرها ، وإذ اكتشف البنسلين مرة ثانية!!

علي جواد الطاهر

عبد الله الغذامي

نزار قباني

باولو كويهلو : رواية يوليسيس مثيرة للإزعاج

نجاح الجبيلي

على الرغم من إن رواية " يوليسيس" لجيمس جويس تتصدر القوائم كونها أعظم رواية في القرن العشرين إلا أن الروائي البرازيلي باولو كويهلو له رأي آخر بها فهو يعدها " مثيرة للإزعاج".

وصرح كويهلو للصحيفة البرازيلية "فولها دو سانت باولو" بأن السبب في شهرته هو " إنه كاتب حداثي على الرغم مما يقوله النقاد". ويضيف أن هذا لا يعني أن كتبه تجريبية " إنني حداثي لأني أجعل من الصعب يبدو سهلاً لذا أستطيع أن أتصل بالعالم كله".

وحسب كويهلو الكتاب يذهبون بعيداً حين يشددون على الشكل لا المحتوى. وقال للصحيفة:" اليوم الكتاب يريدون التأثير في الكتاب الآخرين. وأحد الكتب الذي كان مصدر إزعاج كبير هو رواية "يوليسيس لجيمس جويس" الذي هو محض أسلوب. ولا يوجد شيء هناك. إنه مفكك. يوليسيس سخرية.

إن روايات كويلهو وكتبه – وآخرها التي تدور أحداثها في القدس عام ١٠٩٩ حين كانت الحروب الصليبية على وشك أن تبدأ – بيع منها أكثر من ١١٥ مليون في أكثر من ١٦٠ بلداً. أما رواية ويليسيس التي تبلغ عدد كلماتها ٢٥٦٠٠٠ كلمة فهي رواية حداثوية تسجل يوماً واحداً من حياة ليوبولد بلوم في دبلن كانت أول ما نشرت صدرت بألف نسخة عام ١٩٢٢. وتلك الطبعات الأولى بيعت بما يقارب الـ ١٠٠ ألف جنيه استرليني ويحتفل بالرواية كل عام في ١٦ حزيران حول العالم وهو اليوم الذي تجول فيه بلوم في دبلن.

وعلى الرغم من أن يوليسيس كانت تتصدر دائماً قوائم أحسن الروايات إلا أن كويهلو ليس الأول الذي ينتقد رواية جويس فقد قال رودي دويل عام ٢٠٠٤ بأن الرواية لا يمكن أن يكتبها محرر جيد ويشك أن يكون الناس الذين وضعوها في أحسن عشرة كتب قد تأثروا بها".

منطقة محررة

نجم والي

بريد الجنوب ولا أحد كاملاً

المرة الأولى التي سمعت فيها بـ "بريد الجنوب"، كان لي من العمر سبعة عشر عاماً، عام ١٩٧٣ بالضبط. في ذلك الوقت كنت أحد تلك الشلة الصغيرة من مثقفين شباب. كنا نعيش في مدينة العمارة، وكنا في نظر الناس "مخابيل"، "وجوديين بلا أخلاق" أو في أحسن الأحوال "متمردين" صبيان! بغض النظر عن مظهرنا اللافت للنظر – كنا نلبس بنطلون التشارليستون الضيق فوق والعريض من الأسفل، شعرنا طويل– سرنا في الشوارع ودائما الكتب بين أيدينا. طبعاً مع العنوان إلى الخارج، للعرض لا غير.

هكذا حصل في الحقيقة اعتقالي الأول. كنت أحمل كتاب فريدريك أنجلز بترجمته العربية "حروب الفلاحين" معي. وحدها لحية أنجلز التي تشبه المكنسة كانت جذابة للنظر. الأتعس من ذلك، هو أن هذا الكتاب مثل الكتب الشيوعية الأخرى كان ممنوعاً. لكن ماذا يعنينا المنع. كنا نريد الاستفزاز، وفي ذلك كنا صادقين، مخلصين، وحازمين.

مصروف جيبنا لم يكفنا غالباً لشراء الكتب، رغم ذلك كنا نفعل المستحيل للحصول على الكتب. الكتب الكلاسيكية كنا نعثر عليها في المكتبة المركزية العامة. البقية، خاصة الكتب المترجمة حديثاً، كان علينا شراؤها. في بداية الستينات كانت العاصمة اللبنانية بيروت بالنسبة للعالم العربي هي مركز عالم النشر، موجة كبيرة من الترجمات الحديثة ومن معظم اللغات انطلقت هناك. قبل كل شيء، الأدب الفرنسي طبعاً.

كان لبنان في الماضي مستعمرة فرنسية، وكانت اللغة الفرنسية بمثابة الأم، ناهيك عن دعم المعهد الفرنسي للترجمات. لكن بالنسبة لنا لم يكن من المهم من أية قومية تأتي الكتب. كنا كما يقول المثل، عثة كتب، جائعين لكل ما هو جديد. لذلك قالوا في حينه: "بيروت تطبع وبغداد تقرأ"، بسبب نهمنا للقراءة.

طبعاً في كل قومية كان لنا مثالنا الأدبي. كنا نقرأ كل الآداب العالمية، كتّاب اللغة الألمانية: ريلكة، كافكا، هسة، الأخوان مان، أريش ريمارك، بريشت، الأميركان: أدغار آلان بو، فوكنر (وليس فولكنر كما كتب محرر إيلاف "الثقافي"!)، شتاينبك، همنغواي، فيتزجرالد، الفرنسيين: سارتر، كامو، مارلو، جيد، دوبوفوار، وطبعاً أنطوان سنت أكزبري.

ما أزال أتذكر بالضبط اللحظة التي انتهيت فيها من قراءة الجملة الأخيرة من رواية "الأمير الصغير". كنت في الباص قادماً من بغداد في طريقي إلى بيت أهلي في العمارة. عندما انتهيت من قراءة الكتاب، ضممته وضغطت عليه على صدري، وأسندت رأسي إلى شباك النافذة. تطلعت بالشمس التي بدت مثل برتقالة مشتعلة وبدأت تودع نفسها خلف الأفق. لم يدم الوقت طويلاً، حتى شعرت بالدموع تبلل حدي. لم أشأ أبداً وداع الأمير الصغير. ببساطة.

منذ ذلك الحين لم أترك عملاً لأكزوبري ولم أقرأه. لذلك عندما طلبت مني صحيفة "تاغيز تزايتونغ"، الصحيفة اليومية الألمانية المعروفة اختيار عنوان لعمودي نصف الشهري كل خميسين (ولأنه أول عمود فسيُقدم بصورة خاصة مع الصور السبت الماضي ١١ آب)، خطر على بالي مباشرة "بريد الجنوب"، إحدى رواياته الجميلة، كما "الأمير الصغير"، و"طيران الليل" أو "المدينة في الصحراء". طياروه دائما في طريقهم إلى بشر آخرين، يبدون في نفس الوقت كما لو إنهم جاءوا من كوكب آخر، لكي يجلبوا لنا مع بريدهم الحكمة. سانت أكزوبري حول الطيران إلى كتابة شعرية. لذلك أردت أن أقرأ بريد جنوبه" من جديد، والذي تُرجم إلى الألمانية بعنوان "رسول الجنوب"، والذي يعني في الألمانية المراسل العسكري أكثر. لذلك بدت لي الترجمة الألمانية ليست في نفس العلو الذي أراده الأصل، المعنى الشعري يختفي في الألمانية.

لكن لمفاجأتي جلبتني القراءة الجديدة على اكتشافات جديدة. لأن في النسخة الألمانية التي بين يدي الصادرة عن دار فيشير، نصوصا من أرشيف "الخطوط الجوية الفرنسية" من أكتوبر ١٩٢٨. وفي هذه النصوص قرأت سانت أكزوبري غير آخر. لا شاعرية. هنا تختفي شاعريته ويواجهني حضور لسانت أكزوبري غير معروف بالنسبة لي قبلها. أكزوبري العنصري، الذي لا يخفي رأيه، كيف "أن من غير المفيد" جلب الموريتانيين "مؤقتاً لفهم وجهة نظر إنسانية" لأنهم "يملكون صفات خاطئة أصلاً ولصوصية ثابتة" والتعامل الوحيد الصحيح معهم، هو مراقبتهم عن طريق "الطائرات"، "راكبي الجمال" و"العقوبات الاقتصادية". حتى إنه يدخل في خلاف مع إسبانيا التي سعت في حينه إلى سياسة سلام مع سكان وادي الذهب (الصحراء الغربية اليوم). إنه لا يفهم لماذا إسبانيا "تريد الظهور هناك كجارة وليس كسيد"، لأن "قبيلة يتم إخضاعها بسلام في موريتانيا، يمكن أن تتحول في وادي الذهب إلى قبيلة متعصبة ومحاربة، إذا كانت طامعة هناك بحملات سرقة". عن طمع القوة الاستعمارية فرنسا وحملات سرقتها لا حديث منه بالمقابل، كما لو كان وجود فرنسا هناك وفي أماكن أخرى في أفريقيا أمراً مفروغاً منه، طبيعياً.

العمود الذي أردته للصحيفة اليومية الألمانية "تاتغيستزايتونغ، الليبرالية اليسارية، "دي تاتز" كما تسمى تحببا، قصدت منه جلب بريد للقراء في المستقبل، بريد يحمل رسالة من الجنوب. كما ترون وسيرى قرائي الألمان، الرسالة الأولى التي فكرت بها أنا نفسي بشكل آخر، كان عليّ كتابتها من جديد. كان عليّ أن أقيم مثالي سانت أكزبري من جديد. لا أحد كاملا. أليس كذلك؟

قصيدتان عن صقلية

ديريك والكوت
ترجمة غريب اسكندر

١

مثل شحرور يترك ضوء النهار
ويدخل الاستوديو المعتم قليلاً
فيرتطم بالزجاج
يصفق جناحيه مبتعداً
لكنه يرتطممرة أخرى
كمالو أنه يبحث عنقفصيهدأ فيه
مثل عقلي في بحثه الذي يثير الشفقة
عن مخرجمن نفسه

مفكراً في زمن بافيزي
فيرحلتي منك(مَن كان يظن أن ظِلك
سيكون قوياً للغاية؟) وأنني
سأرتطم بسهولة
مثلطيرمحاصر بجدارك
الى أن تدعني أطير عبر نافذتك
التي حدقت خلالها من جزيرة الحمام الى إزولا(الى صقلية المقدسة)
في هلالين مفتوحين مثل نخلتيك.

٢

خطفتني أسيجة الدَّفْلى الوردية
على طول طرقصقلية
أصوات الحصى تحتالإطارات
بقرب الحجارة المرصوفة والجدران
يا للعجب
لم تكن هناك حاجة للسفر الى هذا البعد
كي أتعرف على أشياءأعرفهامن قبل
ما عدا، الآن بدأت تظهر،
القلعة الغريبة المهدمة
مع أبوابها الزرقاء كالكاريبي
واسمأورتيغا الذي يرن
مثل كريستال يكاد يفقد توازنه.
وإذ يبتدأ الاختلاف
في حفيفالصنوبروجار
الماء الفضي والزيتون
نحتاج الى ترجمة
مع أن البحر الذي ظل هو نفسه باستثناء تاريخه
والجزيرة التي كانت مسقط رأس شفيعنا
اشتركا في الأسم نفسه:لوشيا.
حتى حرارة الجزيرة بعد الظهر كانت لها البراءة نفسها
ولكنمع فارق
في أشكال أزهار الدَّفْلى وطريقة توهج الزيتونالأخضر.

ديريك والكوت

دوريات...

النقد الثقافي ودراسات أخرى في "آفاق أدبية"

بشار عليوي

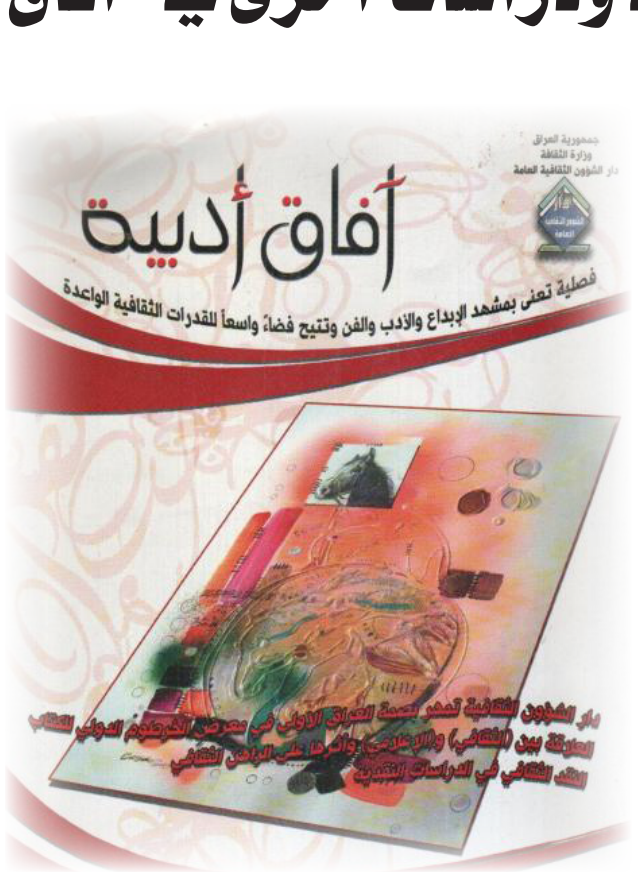

عن دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد، صدر حديثاً عدد جديد مزدوج الثالث والرابع من فصلية (آفاق أدبية) الثقافية. وجاء هذا العدد حافلاً بالكثير من الدراسات والنصوص الأدبية والشهادات النقدية عبر محاور المجلة. بداية نطالع افتتاحية العدد التي حملت عنوان (نحو ترسيخ تقاليد بصورة المثقف) بقلم الناقد المسرحي د. رياض موسى سكران، وفي محور "قراءات" نقرأ دراسة بعنوان (النقد الثقافي في الدراسات النقدية العربية) للناقد د. سمير الخليل، و(شعرية السؤال في حرائق التكوين) لعلي الإمارة، و(محطات في روايتين قصيرتين) لحمدي الحديثي، و(البنية القصصية في يمامة الرسام) لإسماعيل سكران، و(مقاربات سينسردية في برج المطر) لأسعد الهلالي، و(زيارة إلى مزار ناطق خلوصي) لحمد علي حسين، و(تشكيل الأسطورة في رواية تعالى وجع مالك) لعبد العزيز لازم. وفي محور "إبداعات" نشرت المجلة قصائد متنوعة للشعراء (خالد علي مصطفى/ حسين عبد اللطيف/ طالب عبد العزيز/ صالح هويدي/ فلاح عدوان/ سلمان داوود/ حامد البصري) وكذلك نصوص قصصية في المحور ذاته منها (كاليري ماريا) لجابر خليفة جابر، و(حادثة اختفاء) لناظم محمد العبيدي ، كما نقرأ نصاً مسرحياً تعنون بـ(حمل في مرايا الذئاب)، وقد نشرت المجلة ملفاً تعريفياً بمنجز الفنان أسعد الصغير، وضمن محور "فضاءات" نقرأ عددا من الدراسات منها (الخزف في العراق) لمحمد الهجول، و(نافذة على الفن) لنزار شهيد، فيما كتبت الناقدة د. بشرى موسى صالح نصاً مفتوحاً بعنوان (عتبات). وفي محور "رؤى" نطالع (رؤية تأويلية في حكايات عن الغرف المعلقة) لنوافل يونس الحمداني، و(الروائي داخل النص) لعبد العزيز إبراهيم، ونقرأ دراستين ضمن محور "تجارب" الأولى بقلم الناقد المسرحي أ.د. محمد أبو خضير وحملت عنوان (المسرح جنتي .. تجربة جواد الأسدي) والثانية تعنونت بـ(دلالات المكان ومجهولية المعنى في تجربة ندى المطر) للكاتب صميم حسب الله، ونشرت المجلة حواراً مع المخرج المسرحي فاضل السوداني أجراه علي شبيب ورد، أما في محور " في الأفق " فنُطالع (أفعال الأزمة) لسالم السوداني ، و(قراءة في قدح الطفولة) لعمار كشيش ، و(إلى أمي) ليحيى النجفي.